

# كتاب الدلائل في غريب الحديث لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السقيطي

الدكتور شاكر الفحام

٦

ولكن الصورة الجديدة التي ظهر بها كتابا أبي عبيد وابن قتيبة لم تستطع أن تجب أنماطاً أخرى في التأليف عرفها القرن الثالث نفسه .  
أولها : النمط الذي اختطه ابراهيم الحربي :

١ - ولد أبو اسحاق (١) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الحربي ببغداد في سنة ١٩٨ هـ ، وكان أصله من مدينة مرو ، واستقبل الحياة في مفتح عهد الخليفة العالم المأمون ( ١٩٨ - ٢١٨ هـ ) وأتاحت له نشأته ببغداد ، موئل الحضارة ، وأم البلدان ، ومثابة العلماء ، أن يتلقى علومه على أيدي الصفوة من الأئمة الذين كانت تعج بهم بغداد . وفطر الحربي على حب العلم ، بدأ القراءة والسماع على الشيوخ صغيراً ، واتسع في الرواية ، وقويت صلته بالامام الكبير أحمد بن حنبل ( ١٦٤ - ٢٤١ هـ ) اتصل به وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، وصحبه عشرين سنة صيفاً وشتاء ، وحرراً وبرداً ، وليلاً ونهاراً ، وكان قدوته في الحياة : اهتدى بهديه واتبع طريقته حتى صار يقاس به في زهده وعلمه وورعه .

(١) انظر أبرز مصادر ترجمة الحربي في إنباء الرواة ١ : ١٥٥ ( الخاشية )  
والأعلام ١ : ٢٤ - ٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١ : ١٢ ، وقد ترجم له الأستاذ حمد الجاسر ترجمة واسعة ضافية في مقدمة كتاب المناسك : ٧ - ٢٥٦

- ٣٠٣ -

– وتلقى الحربي العربية عن أئمة اللغة في عصره ، روى عن أبي نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي فأكثر الرواية عنه ، وروى عن أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم صاحب أبي عبيدة ، وعن ابن نجدة صاحب أبي زيد الأنصاري ، وعن سلمة بن عاصم النحوي صاحب الفراء ، وعن العباس بن الفرغ الرباشي ، وسعدان بن نصر ، وأبي عدنان ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ، ومحمد بن الجهم السمري (٣٧٧هـ)<sup>(١)</sup> ، وابن الأعرابي ، وأبي الهيثم الرازي ، والمبرد ، وثلعب .

– كان الحربي مكباً على الدرس والتحصيل ، لا يعنيه من أمر الدنيا غير العلم والمطالعة ، أنفق في طب الحديث ثروته ، وكان كثير التقييد لما سمع ، كتب بخطه اثني عشر ألف جزء في اللغة والغريب ، يقول أستاذه ثعلب : « ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو ، خمسين سنة » ويقول الحربي نفسه : « بقيت على سور الرهينة عشرين سنة أكتب ، حتى جمع كتباً كثيرة ؛ ولما سئل : كيف قويت على جمع هذه الكتب قال : « بلحامي ودمي » . وغدا الحربي « اماماً في العلم ، رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميّزاً لعلله ، قيسياً بالأدب ، جماعاً للغة » . روى عنه كثيرون نعددهم منهم من أئمة اللغة أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٧هـ) وأبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب (٣٤٥هـ) . ومات الحربي ببغداد في سنة ٢٨٥هـ<sup>(٢)</sup> .

(١) السمري : بكسر السين وتشديد الميم المفتوحة وفي آخرها الراء ( الباب ٢ : ١٣٨ )

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦١ و ٦ : ٢٧ – ٤٠ ، إنباه الرواة ١ : ٣٦ ، ١٥٥ – ١٥٨

مقدمة تهذيب اللغة : ٤٩ – ٥٠ ، ٦١ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٨٦ – ٩٣ =

٢ - صنف أبو اسحاق الحربي كتباً كثيرة ، أشهرها كتابه في غريب الحديث ، وهو يعد من أجل كتبه ومن أكبر ما صنف في هذا الفن ، جمع فيه وبسط القول وشرح ، واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدھا ، وأطاله بذكر متونها وألفاظها ، وإن لم يكن فيها إلا كلمة واحدة غريبة ، فطال لذلك كتابه .

— وضع الحربي كتابه على أساس ترتيب الصحابة ، كان يورد من أحاديث الصحابي ما فيه كلمة غريبة ، يعقد لها باباً ، ويورد في أعقاب الحديث أحاديث أخرى وآيات وأشعاراً ، تدور فيها الكلمة أو اخوات لها في الاستقاق لينتقل من بعد الى شرحها جميعاً شرحاً وافياً مؤيداً قوله بالشواهد من الشعر ، ثم يقلب الكلمة الى صور أخرى لم ترد في شيء من الأحاديث التي سبقت ، فيعقد لها أبواباً ويسوق ما وردت فيه من الأحاديث والآي والشعر ، ليعود فيفسرها ويذكر معانيها . فإذا انتهى من ذلك كله انتقل الى حديث آخر من أحاديث الصحابي فيه كلمة غريبة يعقد لها باباً ثم يمضي على طريقته التي أخذ بها نفسه في الشرح والتفسير . فإذا أنهى غريب ماجاء عن ذاك الصحابي انتقل إلى غيره ، وهكذا . ويتخلل الكتاب استطرادات تتصل باللغة والأدب والفقہ والقرآن والدين والتاريخ والبلدان .

وخرج من كتابه ، طبقاً لما ذكر ابن النديم في الفهرست ، مسند أبي بكر ، مسند عمر ، مسند عثمان ، مسند علي ، مسند الزبير ، مسند طلحة ، مسند سعد بن أبي وقاص ، مسند عبد الرحمن بن عوف ، مسند العباس ، مسند شيبة بن عثمان ، مسند عبد الله بن جعفر ، مسند المسور بن مخرمة الزهري ، مسند المطلب بن ربيعة ، مسند السائب المخزومي ،

= ٢٠ : ١٧ ، ٦٩ ، فوات الوفيات ١ : ٥ - ٧ ، البداية والنهاية ١٠ : ٣٢٦ ، المناسك :

١٧٢ - ١٨٠

مسند خالد بن الوليد ، مسند أبي عبيدة بن الجراح ، مسند معاوية وغيره ، مسند عمرو بن العاص ؛ مسند عبد الله بن العباس ، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ، مسند الموالى ، وهو آخر ما عمل .

وذكر أبو بكر محمد بن خير الأشبيلي ( ٥٠٢ - ٥٧٥ هـ ) أن أبا اسحاق الحربي مات ولم يتم الديوان ، ثم حدث الموضع الذي انتهى إليه بالتأليف حسب نسخة الكتاب التي وقعت الى الأندلس ، وهو حديث ابن عمر : « ليت [ شعري ، من ] هذا الأشج من ولد عمر ، الذي في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلا » وفسره وذكر الشجاج . وبها تم الديوان . وهي نقل عن النسخة التي عرفها المشاركة والتي تنتهي بمسند الموالى .

وقد حفظت لنا المكتبة الظاهرية بدمشق المجلدة الخامسة من كتاب الحربي وهي آخر المجلدات الخمس من الكتاب ، وتشمل من مسند عبد الله بن عمر ختام الشروح المتصلة بالحديث التاسع والثلاثين ، والأحاديث الخمسة التي تليه ، وينتهي مسند ابن عمر بالحديث الرابع والأربعين ، ليعقبه غريب حديث عبد الله بن عباس ، فيررد من أحاديثه ثمانية وسبعين حديثاً ، وتختتم المجلدة بغريب أحاديث الموالى : زيد بن حارثة وأسامة بن زيد وثوبان وعمار وخباب وصهيب وأبي رافع وسفينة وعامر بن ربيعة وسلمان وعتبة بن غزوان والمقداد .

- اختار الحربي لكتابه هذا الترتيب ، فعرض لغريب الحديث مرتباً على الكلمات ، فكان بذلك أول من قام بهذا النوع من التصنيف في كتب غريب الحديث ، لم يسبقه إليه سابق . ونعم كتاب

الحربي بالقبول ، ذكره ابن خير في فهرسته ، والرعي في برنامج شيوخه ، وعده الصاغاني في التكملة من مصادره ، ونقل عنه البكري في معجم ما استعجم ، والجواليقي في المعرب ، وكان مصدراً هاماً لجميع من جاء بعد الحربي من المؤلفين في غريب الحديث واللغة ، سواء انقلوا عنه أم نقدوه وتعقبوه . وكان للكتاب الفضل الأول في أن تُعدّ الحربي من علماء اللغة ، فترجم له غير واحد من ألقوا في رجالها .

- ولكن طريقة الحربي في سوق الأحاديث بأسانيدھا ، وفي تقلب الكلمات شارحاً ومفسراً ، وفي استطراداته المختلفة يستمدھا من ثقافته الواسعة - وهو الامام الحافظ المتقن العارف بالفقه والحديث واللغة والأدب - قد أطالت الكتاب وشئت فوائده ، وصعب ترتيبه وعسر ، فلا يوجد الحديث فيه إلا بعد كلفة وعناء ، حتى إن الامام مجد الدين أبا السعادات المبارك بن محمد الجزري ( ابن الأثير ) صاحب النهاية سمح لنفسه أن يقول في كتاب الحربي : « وبسبب طوله ترك وهجر ، وإن كان كثير الفوائد ، جم المنافع » (١) .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٥٥ - ١٥٨ ، النهاية ( ح . الطناحي ) ١ : ٦ ، ٨ و ٥ : ٣٧٧ ، فهرست ابن خير : ١٩٤ ، الفهرست لابن النديم ( ط . إيران ) ٢٨٧ ، معجم الأدباء ١ : ١٢٨ - ١٢٩ ، مقدمة كتاب المناسك : ١٨١ - ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، برنامج شيوخ الرعي : ٤٤ ، التكملة للصاغاني ، المقدمة ١ : ٧ ، المعرب للجواليقي : ٤٠٩ ، وانظر من أجل نسخة الحربي في الظاهرية ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : (١) المنتخب من مخطوطات الحديث : ٢٥٤ ، (٢) علوم اللغة العربية : ١٠٦ - ١٠٧ ، وقد وصف الأستاذ حمد الجاسر هذه النسخة فأحسن ووصفها في مقدمته التي جهرها لكتاب المناسك : ٢٣٢ - ٢٣٧

## ٧

١ - وكان النمط الثاني من أنماط التأليف في غريب الحديث التي عرفها القرن الثالث ، إنما هو ذلك النمط الذي أتبع فيه أصحابه الطريقة الأولى التي نشأت على أيدي أئمة اللغة في أواخر القرن الثاني ، واستمر التأليف وفقها في النصف الأول من القرن الثالث ، والتي كانت تمثل النموذج الأول للتأليف في غريب الحديث ، وتداخلت من حيث الزمن ، مع المرحلة التي بدأها أبو عبيد في كتابه ، كما بينا سابقاً (١) .

- لقد بقي لهذا النمط من التأليف أنصاره والتمسكون به ، مضوا على سنن أسلافهم ، يختلفون في مؤلفاتهم اطالة وإيجازاً ، وتتلون أساليبهم في الشرح والتفسير بما تستمده من ألوان الثقافة التي لفقها كل مؤلف ، وقد ينظر بعضها الى شيء يسير من الطريقة التي أبدعها أبو عبيد ، وقفا فيما أثره ابن قتيبة ، ولكنها جميعاً تمضي في الطريق الأولى التي اختطها أئمة اللغة الأولون ، تتجاهل هذا الجديد الذي بدأه أبو عبيد ، أو لا تعرج عليه إلا قليلاً .

كان هؤلاء المؤلفون أو أكثرهم من أئمة اللغة المنقطعين لها ، القائمين في محاربيها ، قد وقفوا أنفسهم على مدارسهم ، والتعرف إلى دقائقها ، يرون أنهم وحدهم القادرون على التأليف في غريب الحديث ، ويتشككون أن يقوى على الغريب غير المتبحرين في اللغة أمثالهم ، أما المتطرفون الذين يلمون من كل علم بطرف ، ويشاركون في الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب من أمثال الحربي وابن قتيبة فهم أعجز من أن يبلغوا الغاية في ذلك ، حكى الامام الذهبي أنه لما صنّف

(١) انظر الفقرة الثالثة ، ص : ٨٠ ( مجلة المجمع - الجزء السابق ) .

الحربي كتابه في ( غريب الحديث ) قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب  
امام الكوفيين في اللغة والنحو في عصره : « ما لابراهيم [ الحربي ]  
وغريب الحديث ؟ ! رجل محدث » (١) .

٢ - أعلى من عرفناه من مؤلفي هذا النمط من رجال القرن  
الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الرابع : أبو العباس محمد بن يزيد  
المبرد ( ٢٨٥ هـ ) وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ( ٢٩١ هـ ) وأبو  
الحسن محمد بن أحمد بن كيسان ( ٢٩٩ هـ أو ٣٢٠ هـ ) و كتابه في  
غريب الحديث نحو أربعائة ورقة ، وأبو محمد القاسم بن محمد الأنباري  
( ٣٠٥ هـ ) وأبو موسى سليمان بن محمد الحامض ( ٣٠٥ هـ ) وأبو  
بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ( ٣٢١ هـ ) وأبو عبد الله أحمد  
ابن الحسن بن اسماعيل السكوني (٢) الكندي النسابة ، أخذ عن ثعلب  
الأدب ، وكان له اختصاص بالخليفة العباسي المكتفي ( ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ )  
ثم بالخليفة من بعده المقتدر ( ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ ) وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن  
درستويه ( ٣٤٧ هـ ) ولم يتم كتابه في غريب الحديث (٣) .

— اننا ونحن نسلك هؤلاء العلماء في نسق واحد ، نرجح ذلك  
ترجيحاً ، بما عرفناه من مذاهيم وكتبهم الأخرى ، وبما ذكره كتاب

(١) كتاب المناسك : ١٧٣ نقلاً عن سير أعلام النبلاء

(٢) في اللباب ٢ : ١٢٤ - ١٢٥ ، السكوني ، بفتح السين المهملة وضم  
الكاف وسكون الواو وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى السكون وهو بطن من كندة  
(٣) الفهرست ( ط مصر ) : ١٠٠ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٥ - ١٣٦ ،  
و ( ط إيران ) : ٩٦ ، إنباه الرواة : ٢ : ١١٣ - ١١٤ و ٣ : ٢٨ ،  
٥٧ - ٥٩ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ١٥٢ ، ١٥٣ ، معجم الأدباء ٣ : ٨ - ٩ ،  
و ١٧ : ١٣٧ - ١٤١ ، مفتاح السعادة ١ : ١٣٨ ، بغية الوعاة : ٨ ، الوافي بالوفيات  
٦ : ٣٠٩ ، لسان الميزان ١ : ١٥٣ - ١٥٤ ، ابن درستويه لعبد الله الجبوري : ٦٥

٢ (٦)

التراجم من دراساتهم وصلاتهم بعضهم ببعض تعلماً وتعلماً ، ومناظرة وردوداً ، وبالنقول القليلة التي تروى عنهم في كتب الغريب . إننا نرجح ذلك ولا نقطع به ، ذلك بأنه لم يصل إلينا ما ألقوه من كتبٍ في غريب الحديث .

٣ - ويذكر أصحاب التراجم أن أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد ( ٥٣٤٥ هـ ) غلام ثعلب ، له كتاب في غريب الحديث ، صنفه على مسند الامام أحمد بن حنبل . وهو ، فيما يبدو ، لون جديد في التصنيف يلتزم فيه مؤلفه تفسير كتاب واحد شير من كتب الحديث ، وقد فتح الزاهد الباب لهذا اللون من التصنيف ، فاقتدى به آخرون ألفوا في غريب الموطأ ، وغريب البخاري ، وغريب مسلم<sup>(١)</sup> .

- وذكر ابن النديم صاحب الفهرست أن أبا عمر الزاهد ألف كتاب غريب الحديث ، على الكلمات ، عمله للحصري ونحله إياه ، وترجم الكتاب : كتاب الحصري [ في غريب الحديث ] . وعاد ابن النديم فذكر مرة أخرى : كتاب غريب الحديث للحصري ، ألفه عن أبي عمر الزاهد ، ثم ذكر في موضع ثالث : أن ابن أبي أويس أحد الرواة للغة والأنساب والمآثر ، لقي فصحاء الأعراب ، وروى عن أبي سهل سعد بن سعيد ، ويعقب على ذلك بأنه استمد هذا الخبر من كتاب الحصري في الغريب<sup>(٢)</sup> .

(١) إنباه الرواة ٣ : ١٧٤ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ ، طبقات الحنابلة لابن

أبي يعلى ٢ : ٦٨

(٢) الفهرست ( ط إيران ) : ٨٣ ، ٩٦ ، ١٢٠ ، وفي طبعة الفهرست المصرية جاء الاسم مرة : الحصري ( ص : ١٢٠ ) ، ومرتين : الحصري ( ص : ١٣٥ ، ١٦٢ ) وفي معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ ، ورد : ( والكتاب الحصري في الكلمات ! ) وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٧٧



۴ - ویزکر المترجمون فی عداد مؤلفی الغریب أبا العباس محمد بن علی بن الفضل الحافظ ( ۲۸۹ هـ ) الملقب بفسققة ، صاحب الحسین بن علی الکرايسی الفقیه ( ۲۴۵ هـ ) ، وكان لفسققة کتاب غریب الحدیث وتصحیح الآثار ، وهو کتاب کبیر ، لم یتمه . ویزکرون أبا بکر محمد بن عثمان الشیبانی المعروف بالجعد ( بعد ۳۲۰ هـ ) ، وأبا الحسین عمر بن أبی عمر محمد بن یوسف القاضي الأزدي ( ۳۲۸ هـ ) ، وله کتاب کبیر فی غریب الحدیث ، لم یتمه (۱) . ولا نملک مانستطیع أن نصف به مؤلفاتهم .

۵ - ویتفرد أبو بکر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري ( ۲۷۱ - ۳۲۷ هـ ) . كان ابن الأنباري من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً ، وقد ذکرنا قبل ما قالوه فی قوة حافظته (۲) ، وقد أملى أبو بکر کتاب ( غریب الحدیث ) ، قیل : إنه خمس وأربعون ألف ورقة . ویقول الخطابی فی صفته : « ولابن الانباري من وراء هذه الكتب مذهب حسن فی تخریج الحدیث وتفسیره ، وقد تکلم علی أحادیث معدودة ، وقع إلی بعضها ، وعامتها مفسرة من قبل إلا أنه قد زاد علیها وأفاد ، وله استدراکات علی ابن قتیبة فی مواضع من الحدیث » (۳) .

۶ - کل هذه المؤلفات التي عددناها فی أعقاب کتاب الحربی ، لم یصل الینا منها شيء ، غیر نقول قليلة نجدها موزعة فی کتب غریب الحدیث التي بین أیدینا ، ولعل فی کلمة الامام الخطابی التي عرض بها

(۱) الفهرست ( ط مصر ) : ۱۲۷ - ۱۲۸ ، ۱۳۵ ، ۱۷۲ ، ۲۷۱ ، تاریخ بغداد ۳ : ۶۴ - ۶۵ ، الوافی بالوفیات ۴ : ۱۰۷ ، بغية الوعاة : ۳۶۴ - ۳۶۵ ، معجم الأدباء ۱۶ : ۶۹ و ۱۸ : ۲۵۰ - ۲۵۱

(۲) مجلة المجمع ، الجزء السابق ص ۱۰۷ - ۱۰۸

(۳) إنباه الرواة ۳ : ۲۰۱ - ۲۰۸ ، غریب الحدیث لأبي عبيد ، مقدمة

المصحح ، ص (و) ، طبقات الخنابلة لابن أبي يعلى ۲ : ۷۰ ، ۷۱

لهذه الكتب ما يقفنا على أظهر سماتها، قال: «إلا أن هذه الكتب ، على كثرة عددها، إذا حصلت كان ما لها كالكتاب الواحد، إذ كان مصنفوها إنما سيلاهم فيما أن يتوالوا على الحديث الواحد، فيعتوروه فيما بينهم، ثم يتباروا في تفسيره ، وبدخل بعضهم على بعض . ولم يكن من شرط المسبوق أن يفرج للسابق عما أحوزه ، وأن يقتضب الكلام في شيء لم يفسر قبله ، على شاكلة ابن قتيبة ، وصنيعه في كتابه الذي عقب به على كتاب أبي عبيد . ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على منهاج أبي عبيد .. ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة .. إنما هي أو عامتها إذا تقسمت وقعت بين مقصر لا يورد في كتابه إلا أطرافاً وواقط من الحديث ، ثم لا يوفيا حقها من إشباع التفسير ، وإيضاح المعنى ، وبين مطيل يسرد الأحاديث المشهورة التي لا يكاد يشكل منها شيء ، ثم يتكلف تفسيرها ويطنب فيها ، وفي بعض هذه الكتب خلل من جهة التفسير ، وفي بعضها أحاديث منكورة لا تدخل في شرط ما أنشئت له هذه الكتب ، (١)» .

هذه جملة الكتب التي ألفت في غريب الحديث في مشرق الأرض العربية حتى منتصف القرن الرابع الهجري .

(١) النهاية (ح . الطناحي) ١ : ٧ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ص (٥-٥) .

ب - طلائع كتب الغريب في الأندلس وكتاب الدلائل

١

كان أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (١) أول أندلسي أُلّف في غريب الحديث وشرحه .

١ - ولد ابن حبيب في كورة إلبيرة (٢) موطن آباءه ، وانتقل من بعد إلى مدينة قرطبة دار الإمارة فسكنها (٣) .

وينتمي ابن حبيب إلى قبيلة سليم بن منصور إحدى قبائل قيس عيلان الشهيرة (٤) ، وكان جده الأعلى عباس بن مرداس السلمي أحد سادات قبيلة سليم وفرسانها ، وله صفة (٥) .

واختلف الرواة في سنة ولادته ، فمنهم من يجعلها في إحدى سنوات

(١) انظر مصادر ترجمته في إنباه الرواة ٢ : ٢٠٦ (الحاشية) ، ونفح الطيب (ح . الدكتور إحسان عباس) ١ : ٤٦ (الحاشية) ، والأعلام ٤ : ٣٠٢ ، المستدرک الثاني : ١٣٥ ، معجم المؤلفين ٦ : ١٨١-١٨٢ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمن ( الترجمة العربية ) ٣ : ٨٦-٨٧

(٢) إلبيرة : والألف فيه ألف قطع مكسورة ، بوزن إخریطة وكبريتة ، كورة كبيرة من كور الأندلس ، نزلها جند دمشق من العرب ، حاضرتها مدينة إلبيرة ، وكانت من قواعد الأندلس الجليلية فخربت في الفتنة سنة ٤٠٠ هـ فإ بعدها ، وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فصارت حاضرة الصقع (معجم البلدان- رسم إلبيرة ، الروض المعطار : ٢٩-٣٠ ، الإحاطة ١ : ١١-١٣) .

(٣) ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، البيان المغرب ٢ : ١١٠ ، معجم البلدان (إلبيرة)

(٤) جمهرة ابن حزم : ٢٦٣ ، ابن الفرضي ١ : ٣١٢-٣١٣

(٥) انظر ترجمة العباس وأخباره في مقدمة ديوانه الذي جمعه وحققه

الدكتور يحيى الجبوري (بغداد ١٩٦٨)

( ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ هـ ) (١) ، ومنهم من يرجع بها إلى سنة ( ١٧٤ او ١٧٥ هـ ) (٢) .

٢ - تفقه ابن حبيب بالأندلس ، وسمع على شيوخ قرطبة : أبي عبد الله صعصعة بن سلام الشامي ( ١٨٠ هـ أو ١٩٢ هـ ) وأبي محمد الغازي ابن قيس ( ١٩٩ هـ ) وأبي عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي المعروف بزياد شبطون ( ٢٠٤ هـ ) (٣) . ثم رحل للحج وطلب العلم سنة سبع أو ثمان ومائتين ، في أوائل أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ( ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ ) فلقى أصحاب مالك وغيرهم وأخذ عنهم . سمع من أبي مروان عبد الملك بن الماجشون ( ٢١٤ هـ ) ، ومن ابني اختي امام أهل المدينة مالك بن أنس وهما أبو مصعب مطرف بن عبد الله اليساري ( ٢٢٠ هـ ) وأبو عبد الله اسماعيل بن أبي أويس ( ٢٢٦ هـ ) ومن ابراهيم ابن المنذر الحزامي ( ٢٣٦ هـ ) وأصبغ بن الفرغ ، وأسد بن موسى ( ٢١٢ هـ ) وعبد الله بن عبد الحكم ، وعيد الله بن موسى الكوفي ،

(١) لسان الميزان ٤ : ٦٢ ، نفع الطيب ٢ : ٧ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، مطح الأنفس : ٣٦

(٢) ابن الفرصي ١ : ٣١٥ ، البيان المغرب ٢ : ١١٠ - ١١١ ، معجم البلدان (إلبيرة) ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩١ ، وفي كتاب العبر للذهبي ( ١ : ٤٢٨ ) ما يشير إلى أن ولادته في عام ١٦٤ هـ ، فقد ذكر أنه توفي في عام ٢٣٨ هـ وله أربع وسبعون سنة ، ويبدو أنه سبق قلم أو خطأ مطبعي صحته : أربع وستون سنة ، على ما جاء في المصادر الأخرى .

(٣) ابن الفرصي ١ : ١٨٢ - ١٨٣ ، ٢٤٠ ، ٣١٣ ، ٣٨٧ ، جذوة المقتبس : ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٢٧ ، ٢٦٤ ، ٣٠٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، لسان الميزان ٤ : ٦٠ - ٦١ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، الديباج المذهب : ١٥٤

وعلي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ( ٢١٠ هـ ) . وجماعة سواهم كثيرة من أهل الحجاز وأهل مصر ، ولا يصحُّ مارووه بصيغة التمريض من أنه لقي الامام مالكا في آخر عمره ، لأن الامام مالكا قد توفي سنة ١٧٩ هـ . ورجع ابن حبيب الى الأندلس سنة ست عشرة ومائتين وقد وعى علماً عظيماً ، كان قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغة والتصرف في فنون الآداب « كان نحوياً عروضياً شاعراً حافظاً للاخبار والأنساب والأشعار ، طويل اللسان ، متصرفاً في فنون العلوم » فكثر طلابه وانتشرت الرواية عنه ، حتى إنه كان يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلثائة طالب (١) .

– أئف ابن حبيب في الفقه والتاريخ والآداب كتباً حسناً كثيرة وذكروا أنه حين سئل : كم كتبك التي أئفت؟! قال : ألف كتاب وخمسون كتاباً . وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء عدة منها (٢) .

٣ – كان عبد الملك بن حبيب حافظاً للفقه على مذهب المدنيين ( مذهب الامام مالك ) ، نبلاً فيه ، ذاباً عنه ، وله في كتب المالكية مذهب مسطور . وقد بلغ منزلة عالية لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وأصبح مشاوراً مع الامامين العالمين ، يحيى بن يحيى الليثي وسعيد بن

(١) ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، ٣١٥ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٦٠ ، مطمح الأنفس : ٣٦ ، المغرب ٢ : ٩٦ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، لسان الميزان ٤ : ٥٩ ، ٦١ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠-٣٩١ ، بغية الوعاة : ٣١٢ ، البلغة : ١٢٧ ، الديباج المذهب : ١٥٤ ، ١٥٥

(٢) ابن الفرضي ١ : ٢٤٠ ، ٣١٣ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٦٠ ، مطمح الأنفس : ٣٦ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٠٦ ، لسان الميزان ٤ : ٦١ ، بغية الوعاة : ٣١٢ ، البلغة : ١٢٧ ، نفتح الطيب ٢ : ٥-٦ ، الديباج المذهب : ١٥٥ ، ١٥٦ ، فهرست ابن خير : ٢٠٢ ،

٢٦٥ ، ٢٩٠

حسان . وكان الأمير يتق به ويركن إليه ، قبل قوله حين رفع إليه عن يحيى بن يحيى أنه غير مأمون الجانب ، وأنه عزم على خلعه ، وأخذ برأيه حين أشار عليه ببناء سور إشبيلية لحماية لها من هجمات الأردمانيين المجوس (النورمان) . وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس ، ويحيى بن يحيى عاقلها (أو راويها ومحدثها) وعيسى بن دينار فقيها . وتوفي عبد الملك سنة ٢٣٨ أو سنة ٢٣٩ هـ بعله الحسا (١) .

٤ - رزق عبد الملك رواة علماء أخذوا عنه ورووا كتبه ، أبرزهم: بقي بن مخلد ، وأبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي ويوسف بن سلمة وعبد الرحمن بن أبي مريم ومحمد بن سعيد بن حسان ، ومحمد بن عبد الله ويوسف بن يحيى المغامي . وكان المغامي آخر الباقيين من رواة (٢) .

٥ - وقد ألف عبد الملك بن حبيب في شرح الحديث وغريبه كتاباً جعله عشرة أجزاء ، الأول منها : شرح الموطأ ، والثاني : شرح جامع الموطأ ، والجزء الثالث : ابتدأ فيه شرح حديث النبي عليه السلام . وأخذ كتب أبي عبيد القاسم بن سلام إلا أنه خلطها بتقديم وتأخير وانتحلها ، ورد على أبي عبيد في أشياء أكثرها تحامل فيها عليه .

ثم ذكر على هذا النحو أحاديث الصحابة والتابعين ، وختم كتب الشرح وهو العاشر منها بكتاب سماه : كتاب طبقات العلماء وشرح من

(١) قضاة قرطبة : ٨٠ ، ٨١ ، المغرب ١ : ٤٩ ، ١٤٨ ، ٢ : ٩٦ ، ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، ٣١٥ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، مطمح الأنفس : ٣٦ تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، نفع الطيب ٢ : ٦ ، ٧ ، ٩ ، الديباج المذهب : ١٥٤ لسان الميزان ٤ : ٦١ - ٦٢ ، معجم البلدان (إلبيرة ، طليطلة) البيان المغرب ٢ : ١١٠ .  
(٢) ابن الفرضي ١ : ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٣١٥ ، ٢ : ١٧ - ١٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، لسان الميزان ٤ : ٦١ ، نفع الطيب ٢ : ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٥٢٠ .

زُنْ منهم بالأهواء ، وهو كتاب صغير . وأخذ عليه فيه تصحيف قبيح . وهو أضعف كتبه <sup>(١)</sup> . لذلك لم ينل الكتاب منزلة عالية بين أهل الأندلس ، وإن كانوا قد قرؤوه وتداولوه بينهم . فابن الفرضي يقرأ شرح غريب الموطأ لابن حبيب على مجاهد بن أصبغ ( ٣٠٥ - ٣٨٢ هـ ) ، وأبو بكر محمد بن خير ( ٥٠٢ - ٥٧٥ هـ ) يذكره في مروياته ، وينتهي بسنده إلى سعيد بن فحلون عن يوسف بن يحيى المغامي عن عبد الملك بن حبيب <sup>(٢)</sup> .

## ٢

١ - وجاء في أعقاب عبد الملك بن حبيب أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الحشني <sup>(٣)</sup> ( بضم الحاء وفتح الشين المعجمتين ) . وكان الحشني من أهل كورة جيان <sup>(٤)</sup> وانتقل الى قرطبة فسكنها الى أن توفي بها . ينتهي

(١) فهرست ابن خير : ٢٠٢ ، الديباج المذهب : ١٥٥

(٢) ابن الفرضي ٢ : ١٤٨ ، فهرست ابن خير : ٢٠٢

(٣) انظر ترجمته وأخباره في : طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٦٨ ، وابن الفرضي ٢ : ١٦-١٧ ، وقضاة قرطبة : ١٨ ، وجذوة المقتبس : ٦٣ - ٦٥ وبغية الملتبس : ٩٢ - ٩٤ ، والمطمح : ٥٦ - ٥٧ ، والمغرب ٢ : ٥٤ ، وفهرست ابن خير : ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٦٤٩ ، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شبة : ١٦٧ ، وبغية الوعاة : ٥٢ ، ٦٧ ، والبلغة : ٢٢٦ ، وترجمته فيها مضطربة ، إذ اختلطت بترجمة ابن كناسه ، ونفح الطيب ٢ : ٢٣٦

وذكرت أكثر المصادر أن اسم أبيه عبد السلام إلا المطمح والمغرب فقد سماه عبد الله ، ومن أجل ذلك ترجم له السيوطي في البغية في موضعين .

(٤) جيان : بالفتح ثم تشديد الياء وآخره نون ، كورة واسعة بالأندلس تجمع قرى كثيرة وبلدانا ، حاضرتها مدينة جيان . وهي من أشرف كور الأندلس في طيب بقعتها ، ووفور غلتها وكثرة خيرها ، تتصل بكورة البيرة ، ومن أمثال العامة « يذكر البلدان ، ويسكن جيان » ( معجم البلدان - جيان ، الروض المعطار : ٧٠ - ٧٢ ) .

ينسبه الى أبي ثعلبة الحثني صاحب رسول الله ، وخشبن ( بالتصغير ) التي ينتمى إليها قبيلة من قضاة كانت دارها بالأندلس جيان وأعمال البيرة ، وقطن عدد منهم بكورة لبلة (١) .

- رحل الحثني الى المشرق قبل الأربعين ومائتين فحج ، ودخل البصرة وبغداد ومكة ومصر ، ولا وكد له إلا لقاء العلماء والأخذ عنهم ، ولقي من أئمة اللغة أبا عثمان المازني وأبا حاتم سهل بن محمد السجستاني والعباس بن الفرغ الرياشي وأبا اسحاق الزياتي ، فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية الأصمعي . وكتب ببغداد كتب أبي عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن وهب المسعري رواية أبي عبيد ، ويذكر أبو بكر محمد ابن الحسن الزبيدي الأندلسي أن سماع الحثني من المسعري كان في سنة سبع وأربعين ومائتين (٢) ، وأقام الحثني في رحلته ، طبقاً لرواية الحميدي ، خمساً وعشرين سنة ، متجولاً في طلب الحديث والعلم ، ولما رجع أدخل الأندلس كثيراً من حديث الأئمة وكثيراً من اللغة والشعر الجاهلي رواية (٣) .

٢- وكان الحثني فصيح اللسان ، جزل المنطق ، بصيراً بكلام العرب ، عالماً ، حافظاً ، وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والأدب ورواية الحديث . وكان ثقة مأموناً ، خيراً ديناً ، قد رزق حجة الناس

(١) جهرة ابن حزم : ٤٥٥ ، الباب ١ : ٤٤٦ - ٤٤٧ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٩ - ٥٠ ، تاج العروس ( خشبن ) ، وفي كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٣١١ : « خشينة : بطن من قضاة » . -

(٢) وم المقرئ حين قال إن الحثني سمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام ( نفع الطيب ٢ : ٢٣٦ ) .

(٣) ابن الفرضي ٢ : ١٦ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٦٨ ، جذوة المقتبس : ٦٣ - ٦٤ ، المزهري ١ : ٨٣



وتقديرهم . وكان إلى ذلك ، صارماً أنوفاً ، منقبضاً عن السلطان ، لم يتشبث بدنيا ، ولم يتطلع إلى جاه أو مال . ولما دعاه الأمير محمد بن عبد الرحمن ( ٣٣٨ - ٣٧٣ هـ ) لولاية القضاء أبي وقال : « أبيت كما أبت السماوات والأرض إباية اشفاق لا إباية عصيان . لي ولد وأنا أحبه ، لي ولد وأنا أحبه ، فأعفاه الأمير . وتوفي الحشني في سنة ٣٨٤ هـ وهو ابن ثمان وستين سنة ، وانفرد الذهبي إذ قال : توفي وهو في عشر الثمانين (١) .

٣- أخذ عن الحشني بالأندلس جماعة جملة نبلاء حدثوا عنه ورووا له ، منهم أسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن خالد ، ومحمد بن قاسم ، وقاسم بن أصبغ البياني وكان من المكثرين عنه ، وابنه محمد بن محمد بن عبد السلام ( ٥٣٣٣ ) ومحمد بن إبراهيم ، ومحمد بن عبد الملك ، وعفير بن مسعود ، وأبو عثمان سعيد الأعناق ، وطاهر بن عبد العزيز (٢) .

٤- لم يكن الحشني أول من أطلع على كتب أبي عبيد القاسم بن سلام ونقلها إلى الأندلس ، فالصلة الوثيقة التي كانت تربط الأندلسيين بالشرق ، وحب الرحلة في طلب العلم أتاحا للأندلسيين أن يطلعوا على كتب أبي عبيد في وقت مبكر . وقد ذكر من قبل مارواه محمد بن خير في فهرسته ، وابن فرحون في ديباجه من أن عبد الملك بن حبيب السلمي قد انتحل في تأليفه كتاب أبي عبيد في غريب الحديث . ومها يكن من شيء

(١) قضاة قرطبة : ١٨ ، ابن الفرضي ٢ : ١٦ - ١٧ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٦٨ ، مطمح الأنفس : ٥٦ - ٥٧ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٤٩ ، نفع الطيب ٢ : ٢٣٦ و ٣ : ٥٥٧

(٢) ابن الفرضي ١ : ٢٤٣ ، جذوة المقتبس : ٣٦ ، ٦٤ ، طبقات الزبيدي

(ط ٢) : ٢٧٥ ، نفع الطيب ٢ : ٥٢ ، ٢٣٧ ، ٦٣٣

فإن في البقية الباقية من النصوص التي بأيدينا ما يقطع بأن أبا عبد الملك عثمان بن المنثى ( ١٧٤ - ٢٧٣ هـ ) كان يقرئ شرح الحديث لأبي عبيد القاسم ابن سلام بأرض الأندلس ، وأن وهب بن نافع الأسدي ( ٢٧٣ هـ ) قد أخذ كتب أبي عبيد عن راويه : علي بن ثابت وأبي جعفر محمد بن وهب المسعري ، وأنه أول من أدخلها الأندلس وأول من أخذت عنه . ثم أدخلها الامام الحشني . ورحل طاهر بن عبد العزيز ( ٣٠٥ هـ ) فروى كتب أبي عبيد عن علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد ، وعاد الى الأندلس ليقريء الناس بها كتب أبي عبيد وليحمل إليهم علمه وروايته ، والحشني حيّ باق (١) .

- ولئن دل هذا على شيء ، إنه يدل على شدة تعلق الناس بأبي عبيد ، وتقديرهم له ، وعنايتهم بكتبه ، حتى جعل الأندلسيون كتبه اللغوية مقياساً لهم يحتكمون إليها ويوازنون بها ما يؤلفونه من أشباهها ، فهم يقولون : كان حُصيب الكبي مصنف في اللغة نحو مصنف أبي عبيد ، وعندما أخطأ العجلي احتكم عفير إلى كتاب أبي عبيد : الغريب المصنف ، في تقويمه وتصحيح ما غلط فيه . وكان أبو عمر موسى بن أزهري الإستجبي ( ٣٠٦ هـ ) يقرأ عليه شرح الحديث والغريب المصنف لأبي عبيد ظاهراً (٢) .

(١) ابن الفرضي ١ : ٢٤٣ ، ٣٤٦ و ٢ : ١٦٠ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٧٣ .

(٢) ابن الفرضي ٢ : ١٤٦ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وقد هيأت هذه المكاة الرفعة التي نزلها أبو عبيد من نفوس الأندلسيين لمثل الامام الحشني ، وهو المتمكن من اللغة ، المتضلع بدقاتها وأسرارها أن يتصدى لتأليف كتاب في غريب الحديث يباري به كتاب أبي عبيد ، ويأخذ إخذة ، فألف كتابه ( غريب الحديث ) ، جعله اثنين وعشرين جزءاً . شرح حديث النبي عليه السلام في أحد عشر جزءاً ، وحديث الصحابة في ستة أجزاء ، وحديث التابعين في خمسة أجزاء . وقد تداوله الأندلسيون وقال الزبيدي في طبقاته يصفه : « فيه من الغريب علم كثير » وكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير ، انتهى بسنده إلى محمد بن محمد ابن عبد السلام الحشني عن أبيه الحشني المؤلف (١) .

- للبحث صلة -

(١) فهرست ابن خير : ١٩٥ ، طبقات الزبيدي ( ط ٢ ) : ٢٦٨ ، وشهر بالحشني عدة علماء ، ومن هنا التبس على بعض المؤلفين أمرهم فذكروا واحداً بدل الآخر . من ذلك ما أشار إليه الحميدي في جذوة المقتبس ، من وم أبي محمد عبد الغني بن سعيد حين نسب إلى محمد بن عبد السلام الحشني كتاب « تاريخ الأندلس » ، والحق أنه لمحمد بن الحارث الحشني ( ٣٦١ هـ ) ، ومن ذلك ما وقع فيه المقرئ صاحب نفع الطيب حين ذكر أن الحكم المستنصر سمع من محمد بن عبد السلام الحشني ، وإنما سمع المستنصر من محمد بن الحارث الحشني ( جذوة المقتبس : ٦٤ - ٦٥ ، نفع الطيب ١ : ٣٩٥ ) .